الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الأدب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

قسم: اللغة العربية وآدابها

تخصص: دراسات لغوية

الإطناب عند مصطفى لطفي المنفلوطي "الفضيلة" أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالب:

- **حليم رابية**

إشراف الأستاذ:

* **عمر بورنان**

لجنة المناقشة

1- :.رابح العربي، أستاذ محاضر - جامعة البويرة.....رئيسًا

2- د/عمر بورنان، أستاذ محاضر - جامعة البويرة ..... مشْرِفًا ومقرّرًا

3- :مقداد حوالم، أستاذ محاضر - جامعة البويرة..... عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2015/2014

شكر و عرفان

الشكر و الحمد لله رب العالمين أولا و أخيرا على عونه و فضله لإتمام هذا العمل المتواضع

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف عمر بورنان على المجهودات والنصائح التي قدمها لي و صبره علي طوال مدة انجاز هذا البحث حفظك الله و رعاك

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل الأساتذة الكرام الذين درست على أيديهم

رزقكم الله حلالا طيبا

أشكر كل أساتذة معهد اللغات و الأدب العربي

و أشكر جميع عمال المكتبة الذين كانوا لنا عونا.

و في الأخير أشكر كل من مد لي يد العون و المساعدة من قريب أو بعيد لإتمام هذا العمل المتواضع و بالله التوفيق.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وحفظهما من كل سوء

إلى كل عائلة رابية

إلى كل عائلة مزاري

إلى كل الأصدقاء والزملاء

إلى كل من يعرفني وأعرفه

أهديكم جميعا هذا العمل

حليم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

يعد الإطناب في الدراسات البلاغية من المواضيع الرئيسية التي أعطاها البلاغيون قدرا كبيرا من الاهتمام والعناية، فأفردوا له أبوابا خاصة في كتبهم لدراسته، وليدلوا بدلوهم فيه بما تيسر من القول، وموضوع الإطناب أثار اهتمامي، فأردت لمسه من خلال ما وظّفه مصطفى لطفي المنفلوطي في رواية " الفضيلة "، وكسر النمط المعهود السائد وهو الاهتمام بالإطناب في مجال الدراسات القرآنية، والخروج به إلى الكتابات الأدبية خاصة الجانب النثري، متبعا في ذلك منهجا وصفيا تحليليا، ومحاولا من خلال هذه الدراسة الإجابة عن بعض الأسئلة والإشكاليات من بيّنها:

_ ما هو الإطناب عند العرب، وما هي أهم أنواعه وأساليبه ؟

_ هل للإطناب مكانة محمودة عندهم ؟

_ إلى أيّ مدى استخدم المنفلوطي الإطناب ؟ وكيف وظّفه ؟

_ ما هي الدلالات التي أضافها على الدراسات السابقة ؟

ووضعت خطة للإجابة عن هذه الأسئلة تتكون من: مقدمة وفصلين وخاتمة.

حيث درست في الفصل الأول الذي هو تحت عنوان: الإطناب تعريفه، مكانته عند العرب، أنواعه وأساليبه، تعريفا للإطناب – لغة واصطلاح– في مبحث أول، أمّا المبحث الثاني فتناول مكانة الإطناب عند العرب، وفي المبحث الثالث فقد تناول أنواع الإطناب وأساليبه.

أمّا الفصل الثاني الذي هو تحت عنوان: الإطناب في الفضيلة لمصطفى لطفي المنفلوطي، نجد المبحث الأول تناول تعريفا موجزا للمؤلِف " المنفلوطي "، مع ملخص لرواية " الفضيلة "، أمّا المبحث الثاني فقد تناول أنواع الإطناب وأساليبه في " الفضيلة ".

وفي الأخير وضعت خاتمة، تطرقت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

وللتوفيق في تحقيق هذه الخطة، اعتمدت على مجموعة من المراجع منها:

_ رواية " الفضيلة " لمصطفى لطفي المنفلوطي، العمدة لابن رشيق القيرواني، الصناعتين للعسكري، المثل السائر لابن الأثير، البلاغة العربية للميداني....، وغيرها من المراجع الأخرى.

وقد وضعت بعض الحروف في التهميش للدلالة على بعض المصطلحات مثل:

ص: صفحة.

ط: طبعة.

ومن الصعوبات التي واجهتها في كتابتي لهذا البحث، هي الوقت الذي لم يكن في صالحي، والذي كنت أسابقه قدر الإمكان من أجل الانتهاء من بحثي في الآجال المحددة.

وما لي في الأخير إلّا قوله تعالى في سورة الإسراء: « **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** » الآية: 85.

والله وليّ التوفيق

المبحث الأول:

تعريف الإطناب لغة و اصطلاحا:

أ- **لغة** : للإطناب أصل لغوي، حوته المعاجم العربية القديمة حيث يقول ابن منظور: « طنب : الطُّنْبُ والطُّنُبُ معا: حبل الخباء والسراديق ونحوهما، وعسكرٌ مُطَنِّبٌ: لا يرى أقصاه من كثرته، وأطنبت الإبل: إذا تبع بعضها بعضا في السير، والإِطْنابُ: البلاغة في المنطق و الوصف، مدحا كان أو ذما، و أَطنبَ في الكلام : بالغ فيه، و المُطنِبُ: المدّاح لكل أحد ».[1]

وقال ابن الأثير:« وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه، ويقال: أطْنبَتَ الرِّيح إذا اشتدت في هبوبها. وأطنب في السير، إذا اشتدَّ فيه » .[2]

وأطنب بالمكان إذا طال مُقامه فيه، وفرس مطنب إذا طال متنه، ومن اجل ذلك سمي حبل الخيمة طُنبا لطوله.[3]

إن الملاحظ من خلال هذه التعريفات تقريبا أنّها تشترك في أمر و معنى واحد وهو الطول، سواء كان في الكلام أو غيره من الأمور الأخرى، وتشابه التعريف الاصطلاحي كثيرا في قضية الطول، الذي سيأتي بيانه فيما يلي.

ب- **اصطلاحا:** هناك اتفاق بالإجماع حول التعريف الاصطلاحي للإطناب، فهو في اصطلاح البلاغيين: « كون الكلام زائدا عمّا يمكن أن يؤدي به من المعاني في معتاد الفصحاء، لفائدة

---

[1]- ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر- بيروت- ، ط:1، 1955-1992م،ج:1، مادة طنب .

[2]- ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق:أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر-الفجالة-القاهرة، ج:2، ص 343.

[3]- يحي بن حمزة بن علي ابن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية – صيدا- بيروت، ط:1، 2002،ج 2، ص 123 .

تقصد، واحترز بقيد " لفائدة تقصد" لإخراج الزيادة في الكلام دون فائدة تقصد لدى البلغاء وقد يطلق على هذه الزيادة لفظ "الإسهاب"، والزيادة في الكلام بلا فائدة تقصد تكون بالتطويل، كذكر المترادفين أو بالحشو، وكلاهما أمران مَعيبان » .[1] فالإطناب هو زيادة في الكلام لأداء غرض ما، عكس التطويل والحشو اللذيّن لا غرض من ورائهما يقصد، سوى ربما التأكيد والتكرار.

وعرفه السكاكي بقوله :« فالإيجاز: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط. والإطناب: هو أداؤه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل، أو إلى غير الجمل »[2]. وهذا التعريف ناقص لأنّ السكاكي أهمل الفائدة التي تكون من وراء هذه الزيادة. وعرفه ابن الأثير بقوله : « هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة » [3]. أي أنه كلما زاد الكلام، زاد المعنى اتضاحا، وهذا لخدمة الغرض المنشود من وراء هذه الزيادة. وهذا التعريف موجز وجامع في الوقت نفسه، إذ بيّن المفهوم الحقيقي للإطناب دون إسقاط أي عنصر منه .

وقد فرّق البلاغيون بين الإطناب والتطويل والحشو وبيان ذلك أن:

أ- الإطناب : هو زيادة الألفاظ على المعنى لفائدة.

ب-التطويل: هو زيادة الألفاظ لغير فائدة وتكون الزيادة غير متعينة -أي ليست محددة-،مثال: نزلت بصديقي فوجدت منه كل خير وفضل. فالتطويل منحصر في (خير و فضل)، فإن معناهما واحد، ولأن معناهما واحد فإن واحدة منهما زائدة دون فائدة، ولو اخترنا بينهما لاحترنا لأن الزيادة غير متعينة.

---

[1]- عبد الرحمان حسن حبنّك الميداني، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها وفنونها، دار القلم -دمشق- ،الدار الشامية-بيروت-، ط:1، 1996م،ج 2، ص 60.

[2]- أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط:1 2000م، ص388.

[3]- ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 344 .

ج- إذا كانت الزيادة لغير فائدة و متعينة فإنها تسمى حشوا. وهو نوعان:[1]

1- حشو مفسد للمعنى، كقول أبي الطّيّب :

ولا فضل فيها للشجاعة والنّدى وصبر الفتى لولا لِقاء شعوب

فإن لفظ (الندى) فيه حشو يفسد المعنى، لأن المعنى: أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة و الصبر والندى لولا الموت، لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام، فلم يكن لشجاعته فضل، بخلاف الباذل ماله، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله، فلو علم أنه يخلد ثم جاد بماله، كان جوده أفضل، فالشجاعة لولا الموت لم تحمد، والندى بالضد.

2- مالا يفسد المعنى، كقوله أبو العيال الخفاجي:

ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس و الصب

فإن لفظ (الرأس) فيه حشو لا فائدة فيه، لأن الصداع لا يستعمل إلا في الرأس، وليس بمفسد المعنى[2] .

[1]- ينظر: عبده عبد العزيز قليقلة ،البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي -القاهرة-، ط:3، 1992م، ص 272،271 .

[2]- الخطيب القزويني- جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمان القزويني-، الإيضاح في علوم البلاغة،المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان، ص181،182.

المبحث الثاني: مكانة الإطناب عند العرب:

عُرف العرب منذ الجاهلية بأنهم أصحاب فصاحة وبلاغة، وكان لشعرائهم كثير من الصور التعبيرية التي تعبر عن معيشتهم وما يدور في حياتهم، وكانوا يستعملون الإيجاز في موضع الإيجاز، والإطناب في موضع الإطناب. « قيل لأبي عمرو بن العلاء، هل كانت العرب تطيل؟ قال نعم، كانت تطيل ليسمع منها، وتوجز ليحفظ عنها » [1] . فقد تعددت أماكن الحاجة إليه والاستعانة به، فالإطناب عندهم: « محمود في المواعظ كقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [**الأعراف**: **97-99**]. فتكرير ما كرر من الألفاظ ههنا في غاية حسن الموقع »[2].

وأيضا نجد الإطناب عندهم لا يقتصر على فئة محددة أو معينة، ولا يقتصر على عامة الشعب فقط بل نجده في « الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة، والأمور الجليلة، وتفخيم النعم الحادثة، والترغيب في الطاعة، والنهي عن المعصية، سبيلها أن تكون مشبعة مستقصاة تملأ الصدور، وتأخذ بمجامع القلوب » [3] .

---

[1]- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين –الكتابة والشعر- ، مطبعة محمود بك–الإستانة العليه–، ط:1 1319هـ، ص 143.

[2]- نفسه.

[3]- نفسه، ص 142.

ومن المواضع التي يحتاج إليها للإطناب أيضا ما ذكره السكاكي حيث يقول: « وإذا خطب في الصلح بين العشائر أطالوا، وإذا انشدوا الشعر بين السماطين* في مدح الملوك أطنبوا »[1]. وهذه من أكثر الأماكن استعمالا للإطناب، فيطنب في الكلام للإصلاح بين الناس فيطال في الكلام الذي يخفف من وقع البغضاء والذي به ترفع الشحناء، وكذلك حال قول الشعر بين أيدي الملوك من خلال المدح الكثير لكسب ودهم.

لذلك نجد أن الإطناب عند العرب لا يقل عن فضل مختلف الأساليب، لذلك استحسنوا الإطناب في موضعه، لأنه كما يقال: لكل مقام مقال.

« فالإطناب له مواضع و مقامات وقسم يطلب فيه كالخطب و المنشورات وكتب الفتوح التي تقرأ في ملأ من عوام الناس، فإن الكلام إذا طال في مثل هذا أثر فيهم وأفهمهم »[2].

إن هذه الأقوال السابقة بينت أهم المواضع التي يتم فيها الاعتماد على أسلوب الإطناب، كما بيّنت أيضا أهمية الحاجة إليه، فهو ليس مجرد أسلوب بلاغي جمالي، وإنما تعدد أغراضه وتنوعها، يتركنا دائما في أمس الحاجة إليه، خاصة في التعاملات اليومية والشؤون الاجتماعية المتنوعة التي تصادف البشر.

---

[1]- أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 143.

*- السماطين: الجماعة من الناس.(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: سمط).

[2]- عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية- علم المعاني- ، مكتبة الآداب -القاهرة- ، ط:3،-2002-، ص 121.

المبحث الثالث: أنواع الإطناب وأساليبه:

للإطناب أنواع وأساليب عديدة ودقيقة، تتنوع بتنوع الحاجة إليها والمواقف الداعية لها، فباختلاف المواقف تختلف الأنواع، ولقد وقف علماء البلاغة أمام هذه الأنواع متأملين فيها، محاولين بذلك الكشف عنها وتبيانها. وقد خلصوا إلى جملة من هذه الأنواع نذكر منها :

أولا : الإيضاح بعد الإبهام :

وهو أن يورد المتكلم المعنى مبهما وبعد ذلك يورده موضحا، « وهذا ليرى المعنى في صورتين مختلفتين، أو ليتمكن في النفس فضل تمكّن، فإن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا أُلقي كذلك تمكّن فيها فضل تمكُّنٍ، وكان شعورها به أتم، أو لتكمل اللذة بالعلم به، فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألمٌ، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه، تشّوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها عن الباقي ألم، ثمّ إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدّمها ألم »[1].

وأيضا يكون الإيضاح بعد الإبهام « لتقرير المعنى في ذهن السّامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح، كقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ

[1]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ،ص 196.

أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الحجر: 66]. فقوله: ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ ، تفسير وتوضيح لذلك الأمر، وفائدته تفخيم شأن المُبيّن وتمكينه في النفس زيادة تمكّن »[1].

ومن الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام « باب: نعم وبئس، على قول من يجعل المخصوص خبرا لمبتدأ محذوف، أو يجعله مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه، كقولك نعم الرجل محمد / وبئس الرجل مسيلمة، ووجه حسنه سوى الإيضاح بعد الإبهام أمران: أحدهما: إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظرا إلى إطنابه بالإيضاح بعد الإبهام، وإلى إيجازه بحذف المبتدأ.

والثاني: هو إيهام الجمع بين المتناقضين وهما الإطناب والإيجاز ».[2]

ثانيا: التوشيع :

« وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنّى مفسّر باسمين أحدهما معطوف على الآخر» [3].

وعرّفه صاحب الطراز بقوله: « ويقال له التوسيع، فأما التوشيع بالشين المثلثة الفوقانية، فاشتقاقه من توشيع الشجرة وهو تفريع أصلها، وأما التوسيع بالسين المهملة فاشتقاقه من قولهم وسع في حفر البئر إذا فسّح فيه، ومنه فسح في المجلس إذا وسّعه لمن يجلس فيه، وهو في مصطلح علماء البيان، عبارة عن أن يأتي المتكلم بمثنى يفسر بمعطوف ومعطوف عليه، وذلك من أجل أن التثنية أصلها العطف، فيوسع الاسم المثنى بما يدل على معناه ويرشد إليه على جهة العطف، ومنه قول ابن الرومي يمدح عبد الله بن سليمان بن وهب :

إذا أبو قاسم جادت لنا يده ... لم يحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غُرَّته ... تضاءل النيّران الشمس والقمر
وإن نضا حدّهُ أو سلّ عزْمتَه ... تأخّرَ الماضيان السيف والقدر

[1]- السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية – صيدا- بيروت، ط: 1، 1999م، ص16.

[2]- عبده قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 275.

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص197.

مـــن لـــم يـــبـتْ حـــذِرا مـــن ســـطـــوته لـــم يـــدرِ مـــا المزعجان الخوف والحذر
ينـــــال بـــالظـــنِّ مـــا يعيـــا العـــيـــانُ به والشـــاهديـــن عليـــه العيـــن والأثـــر
كـــأنـــه وزمـــــام الـــدهـــــر في يـــده يـــدري عـــواقـــب مـــا يـــأتي ومـــا يـــذر[1]

فمن خلال هذه الأبيات الشعرية – الجمل المسطر تحتها– يتضح لنا جليا مثال التوشيع وكيفية استعماله من طرف الشاعر بطريقة واضحة وبيّنة من أجل الوصول إلى المراد وإدراك المعنى المقصود.

ثالثا: ذكر الخاص بعد العام:

ويكون هذا « للتنبيه على فضله، كأنه ليس من جنسه، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات »[2].

والمقصود بعبارة " للتنبيه على فضله "، هو الاسم الخاص الذي يتم ذكره بعد الاسم العام ويكون ذلك:« تنويها بشأن الخاص، وتنبيها على فضله، كأنما هو شيء آخر، ألا ترى قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾ [**البقرة**: **238**]. فلقد ذكرت الصلاة الوسطى مرتين، فهي داخلة في قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾ ثمّ ذكرت مرة أخرى تنويها وتعظيما كأنما هي شيءآخر. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨ ﴾ [**البقرة**: **98**] فجبريل وميكال داخلان في عموم الملائكة »[3].

---

[1]– يحي العلوي، الطراز، ج3، ص 50–51.

[2]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص197.

[3]– فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها –علم المعاني–، دار الفرقان للنشر والتوزيع –إربد–، ط: 4، 1997، ص 486.

رابعا: ذكر العام بعد الخاص:

ومن أنواع الإطناب أيضا ذكر العام بعد الخاص« وهذا لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص، ومنه قوله تعالى: «﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨ ﴾ [**نوح**: **28**] ذكر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك، والغرض من هذه الزيادة إفادة شمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين، مرة وحده ومرة مندرجا تحت العام ».[1]

خامسا: التكرير أو التكرار:

- وهو ذكر الشيء أكثر من مرة لداع بلاغي [2].

أي أن الكاتب أو المتكلم يعيد الكلمة أو العبارة مرتين أو أكثر.

والتكرار محمود إذا جاء في الموضع الذي يقتضيه وتدعو إليه الحاجة كما قال ابن رشيق القيرواني: « وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرر في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى فذلك الخِذلان بعينه ».[3]

- ويواصل ابن رشيق كلامه عن التكرار مبينا دواعيه بقوله: « ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشويق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب،[4] كقول امرئ القيس:

ديـــارٌ لـسلمـــى عـــافـيـاتٌ بذي الخال ألـــحّ عـــليـــها كـــلُّ أسـحـمَ هـطّـــالِ
وتَـــحْسِـــبُ ســـلمـــى لا تـــزالُ كـعهـدنـا بـــوادي الخـزامى أو علـى رأسِ أو عـال

---

[1]– ينظر: علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة –البيان–المعاني–البديع–، دار المعارف 1999م، ص 247–249.

[2]– عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص277.

[3]– أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع –القاهرة– 2009م، ج1، ص201.

[4]– أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ج:2، ص 64 .

وتحسب سلمى لا تزال ترى طلاً مـنَ الوحوش أو بَيْضًا بميثاءَ مِحْلالِ
ليالي سلمى إذ تُرِيكَ مُنَضَّدًا وجِيدًا كجيد الرِّيم ليس بِمِعْطَال

فالشاعر كرر اسم ممدوحه أكثر من مرة تغزلا به، واستعذابا بذكره، كأنه شيء مقدس يرتاح كلما ذكره وكلما تغزل به.

- أو على سبيل تكرير اسم الممدوح تنويها به، وإشارة بذكره، وتفخيما له في القلوب والأسماع كقول الخنساء :[1]

وإنّ صخرا لمولانا وسيّدُنا وإنّ صخرا إذا نشْتو لنَحّار
وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فالشاعرة كررت اسم اخيها " صخرا " للتنويه على فضله و رفعة مقامه و علو مكانته بين قومه، فهو السيّد الشريف، والمحارب العظيم الذي يقتدى به.

- أو على سبيل التقرير والتوبيخ، كقول بعضهم :[2]

إلى كم وكم أشياء منكم تريبُني أُغمضُ عنها لست عنها بذي عمى

- ومن أغراض التكرار نجد أيضا:

- تأكيد الإنذار[3] في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ [التكاثر: 3-4]

ومن أغراضه أيضا: « ملاينة المخاطب لقبول مضمون الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ

[1]- نفسه ،ج:2، ص 65

[2]- نفسه.

[3]- عبده عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 277.

وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر: 38-39]. كرر هذا المؤمن قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ تليينا لقلوبهم وإظهارا لإخلاصه لهم في النّصح، ليتلقوا الكلام منه بالقبول ».[1]

- وقد يكون التكرار لتعدد المتعلق، تعظيما لشأنه كالذي نجده في سورة الرحمن من تكرار آية [2] ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

- كما يستعمل أيضا للترديد « وهو تكرار اللفظ معلقا بغير ما تعلق به أولا نحو: السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة ».[3]

حيث أن لفظتي " قريب " و " بعيد "، تعدد المتعلق بهما، حيث ارتبطتا في الأول بلفظ الجلالة " الله "، ثم بلفظة " الناس "، ثم بلفظتي " الجنة والنار ".

- ويكون التكرار أيضا « للتلذّذ بذكر المخاطب»[4]، نحو قول مروان بن أبي حفصة :

سقى الله نجدا والسلام على نجد ويا حبّذا نجدٌ على القرب والبعد

فالشاعر هنا كرر كلمة " نجد " - وهي إحدى المناطق العربية - أكثر من مرة، مفاخرة وتباهيا بها، وتلذذا بذكر اسمها.

وغيرها من الأغراض الأخرى التي يمكن تحقيقها بفضل التكرار،على غرار الاستيعاب، المبالغة في التوجع...وهلم جرا.

سادسا: الاعتراض:

---

[1]- عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية -المعاني-البيان- البديع، منشورات الجامعة المفتوحة 1993م، ص 335.

[2]- عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص278.

[3]- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 203.

[4]- نفسه.

وهو من أنواع الإطناب الذي يكثر استعماله، والمراد به « أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محلّ لها من الإعراب لنكتة كالتنزيه والتعظيم» [1]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [**النحل**: **57**]. فعبارة ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ جملة اعتراضية بين كلامين متصلين في معناهما للمبادرة إلى تنزيه الله عن أن يكون له بنات، والتشنيع على من جعلهن له بتصورهم الفاسد وأقوالهم الكاذبة» [2].

- ومن أغراض الاعتراض أيضا، « تقرير المعنى وتوكيده، كقوله تعالى:﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ ﴾ [**الواقعة**: **75-77**]. فقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ، اعتراض بين القسم وجوابه تقرير للتوكيد، وتعظيم للمحلوف به، وقوله: ﴿ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ ، اعتراض في اعتراض.[3]

- ومن الاعتراض الدعاء، كقول أبي الطيب:

وتحتقر الدنيا احتقار مُجرِّبٍ يرى كلَّ ما فيها – وحاشاك – فانيا

فإن قوله: " وحاشاك "، دعاء حسن في موضعه.[4]

- ومنه الاستعطاف: ويتمثل ذلك في قول أبي الطيب المتنبي:

وخفوق قلبٍ لو رأيتِ لَهيبهُ		– يا جنّتي– لرأيت فيه جهنّما

[1]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 206.

[2]– عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية ج2، ص 81.

[3]– بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق : حسني عبد الجليل يؤسف، مكتبة الآداب، ط: 1، 1989م، ص220.

[4]– الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 206.

قوله: " يا جنَّتي " جملة معترضة، والداعي لها الاستعطاف، واستغلال المناسبة ليُجِري مطابقة بين الجنة وجهنم. [1]

فالشاعر كأنما بربد القول: يا جنتي لو رأيت اضطراب وخفقان قلبي وما فيه من نار الحب، لرأيت جهنم فيه، وذلك من شدة لهيبه واحتراقه.

- ومنه كذلك التنبيه، ونجد هذا في قول النابغة الجعدي:

ألا زعمت بنو سعدٍ بأني – ألا كذبوا– كبير السّنِ فانِي

فجملة " ألا كذبوا "، قد جاءت في بيت النابغة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى التنبيه على كذب من رماه بالكبر. [2]

- ومن الاعتراض، التحسر ونجد هذا مجسدا في قول إبراهيم بن المهدي يري ابنه :

وإني – وإن قُدمتَ قبلي – لعالم بأني – وإن أخرت منك – قريب

ففي البيت إطناب بالاعتراض في كلٍّ من شطريه، والغرض الذي قصد الشاعر إليه، إنّما هو إظهار الأسى والتحسر على أن الموت قد سبق إلى ابنه.[3]

سابعا: الاحتراس أو التكميل:

ومن أنواع الإطناب الاحتراس وهو « زيادة إطنابية في الكلام، يَدفع بها المتكلم إيهاما اشتمل عليه كلامه، ويكون هذا الاحتراس حينما يأتي المتكلم بكلام يوهم خلاف ما يُريد، ويأتي بعده بكلام يدفع

[1]– عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية، ج2، ص 84.

[2]– ينظر : علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 247–250.

[3]– عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 284.

به ذلك الإيهام، ومثل هذا يوجد في أرفع الكلم لتحقيق غرضٍ بلاغي، وقد يوجد في كلام أهل الخطب الارتجالية على سبيل التدارك لما جاء في كلامهم ففطنوا إليه فاحترسوا تكميلا »[1].

فالاحتراس إذن هو الوقاية من سوء فهم المتلقي، وذلك من خلال تدارك المتكلم بكلام يبعد ما قاله عن أي معنى ثاني قد يتوهمه السامع من غير المقصود.

وهو ضربان:

أ- ضرب يتوسط الكلام[2]، كقول طرفة:

فسقى ديارِكِ (غير مُفسدِها) صَوب الرّبيع، وَدِيمةٌ تَهْمي

فإن قوله: (فسقى ديارك) دعاء بكثرة نزول المطر، وهذا الدعاء يحتمل أن يكون على وجه الإصلاح، كما يحتمل أن يكون على وجه الإفساد، وقد أزال الشاعر الاحتمال غير المقصود بالاحتراس بقوله: (غير مفسدها)، أي أن هذا المطر لا فساد فيه، فدفع بذلك سوء الفهم الذي يمكن أن ينجم عند سماع عبارة: (فسقى ديارك).

ومنه أيضا قول ابن المعتز:[3]

صَبَبنا عليها (ظالمين) سياطنا فطارت بها أيدٍ سِراعٌ وأرجلُ

فالشاعر هنا يخبرنا أنه صبّ على فرسه سياطه، ونحن نعلم أن صبّ السياط يكون على الفرس البليدة، أما الفرس الكريمة فلا تحتاج إلى الضرب كي تسرع، فلمّا أدرك الشاعر أن كلامه يوهم خلاف ما يريده ، احترس بقوله: " ظالمين "، ليدفع به توهم أن فرسه بليدة تستحق الضرب.

---

[1]- عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية، ج2، ص 84.

[2]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 203.

[3]- نفسه.

ب – وضرب يقع في آخر الكلام، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: 54]. فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذّلة على المؤمنين، لتُوهِّم أن ذلّتهم لضعفهم، فلما قال:﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ، علم أنها منهم تواضع لهم، ولذا عدّي الذّل بـ " على " لتضمينه معنى العطف، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذليل والتواضع، ويجوز أن تكون التعدية بـ " على " لأن المعنى: أنهم مع شَرَفِهم وعلوِّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين، خافضون لهم أجنحتهم ».[1]

ثامنا: الإيغال:

الإيغال في اللغة من: وغل يغل وغولا، أي دخل في الشيء وتوارى به، يقال: أوغل في البلاد ونحوها، وتوغل في الأرض: ذهب فأبعد فيها، والإيغال: السير السريع، وقيل الشديد والإمعان في السيّر.[2]

والإيغال عند البلاغين: « هو إضافة أخيرة تأتي في الكلام بعد انتهاء المقصود منه، لكنّها ذات فائدة ما، والدّاعي لها قد يكون الاحتياج إلى القافية في الشعر، أو إلى تناظر الفقرات في النثر أو استغلال حالة طارئة عرضت للمتكلم، أو غير ذلك ».[3]

من خلال التعريف يتضح لنا مفهوم الإيغال الذي هو زيادة في الكلام تأتي بعد انتهاء المعني أو تحقيق الغاية من الكلام، وهذه الزيادة تكون لفائدة معينة، كانتهاء الشاعر من المعنى الذي أراده قبل انتهاء القافية، فيأتي بزيادة تكون له قافية يتم بها بيته.

---

[1]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 203–204.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، ج: 11، ص 732–733.

[3]– عبد الرحمان الميداني، البلاغة العربية، ج 2، ص 76.

« وحكى الحاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني التوزي قال: قلت للأصمعي: من أشعر الناس ؟ قال: الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيرا، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيسا، أو ينقضي كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى، قال: قلت نحو من ؟ قال: نحو الأعشى إذ يقول:

كَـناطِـحٍ صـخـرةً يـومـا لـيفـلقـهـا فـلـم يـَضِـرْهـا وأوهـى قـرْنَـه الوَعِلُ

فقد تم المثل بقوله: " وأوهى قرنه "، فلما احتاج إلى القافية قال: " الوعل "، قال: قلت: وكيف صار الوعل مفضلا على كل ما ينطح ؟ قال: لأنه ينحط من قُنّه الجبل على قرنه فلا يضيره ».[1]

حيث أن الأصمعي نجده في هذا القول، جعل أشعر الناس من ينقضي منهم كلامه قبل انقضاء القافية، فجعل الإيغال ميزة أشعر الناس.

ومن الإيغال أيضا قول امرئ القيس:[2]

كـأنّ عـيـون الـوحـوش حـول خبائها وأرحُـلِنـا الجـزع الـذي لـم يـثقّب

فإنه لمّا أتى على التشبيه قبل ذكر القافية، واحتاج إليها، جاء بزيادة حسنة في قوله: " لم يثقّب " لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان ذلك زيادة له في الحسن والجمال. والجزع في اللغة نوع من الخرز أي الحجارة الكريمة.

تاسعا: التذييل:

وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها تقوية لها، وهو ضربان:

[1]- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج 2، ص 48-49.

[2]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 200.

أ- ضرب لا يجري مجرى المثل: لأنه لا يستقل بمعناه بل يتوقف على ما قبله[1]، ومنه قول ابن نباتة:

لـــم يـبق جـودك لـــي شيئـا أؤملـه تـركتـنـي أصحـب الـدنيـــا بلا أمـل

فالجملة الثانية جاءت تأكيدا للجملة الأولى، لأن معنى البيت هو: أن كثرة جودك وكرمك وإحسانك، لم تبق لي شيئا أرجوه أو أتمناه في هذه الدنيا، لأنك أعطيتني كلّ ما أؤمله.

ب-وضرب يجري مجرى المثل في الاستقلال بنفسه وفي التمثيل، ومثاله قول الحطيئة [2]:

تزور فـتـى يعطـي علـى الحمد مالـه ومـن يعـط أثـمـان المـحامـد يحمـد

فالشطر الثاني إطناب بالتذييل للشطر الأول جار مجرى المثل، لأنه مستقل بمعناه، ولا يتوقف فهمه على فهم ما قبله.

عاشرا: التتميم:

ومن أنواع الإطناب نجد التتميم وهو أن يُؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة في قوله تعالى: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [**الإنسان**: **8**]. أي: مع حبّه، والضمير للطعام، أي مع اشتهائه، والحاجة إليه [3].

ومنه قول المتنبي في صباه يمدح محمد بن عُبيد الله العَلَوي:

لـــه أيـــادٍ إلـــي ســـابـقـــة أعُـــدُ مـنـهـا ولا أُعـدِّدُهـــا

[1]- عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 279.

[2]- المرجع نفسه ، ص 280.

[3]- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 205.

أي: له أياد محسناتٌ إليّ، أو سابقة إلي أعدُّ بعضها ولا استطيع أن أعَدِّدها كُلّها، فعبارة " ولا أعدّدها "، جاءت زائدة على المقصود من القول، ولم تدفع ايهاما، لكنّها زيادة مفيدة أشار بها إلى كثرة أيادي ممدوحه، فهو لكثرتها غير قادر على أن يعددها محصيا لها.

إحدى عشر: الصفة:

تعتبر الصفة من أهم أنواع الإطناب، وهذا لكثرة استعمالها وتداولها، وترد لأسباب عدة نذكر منها:

1- التخصيص في النكرة: نحو: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: **92**].

2- التوضيح في المعرفة: أي زيادة البيان نحو: ﴿ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾ [**الأعراف**: **158**]

3-المدح والثناء: ومنه صفات الله تعالى نحو: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ [**الفاتحة**: **1-4**].

4-الذم، نحو: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ [**النحل**: **98**].

5- التأكيد لرفع الإيهام، نحو: ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾ [**النحل**: **51**]. فإن﴿إِلَٰهَيۡنِ﴾ للتثنية، و﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ بعده صفة مؤكدة للنّهي عن الإشراك ولإفادة أن النهي عن إلهين إنما هو لمحض كونهما اثنين فقط، لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك، ولأن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية، كقوله صلى الله عليه وسلم: « إنما نحن بنو المطلب شيء واحد ». وتطلق ويقصد بها العدّة، فالتثنية باعتبارها، فلو قيل ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ﴾ فقط، لتوهم أنه نهي عن اتخاذ جنسين آلهة وإن جاز أن يتّخذ من نوع واحد عدد آلهة ».[1]

[1]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون – دمشق- سوريا، ط:1، 2008م، ص 556-557.

الفصل الثاني

الإطناب في الفضيلة لمصطفى لطفي المنفلوطي

المبحث الأول: التّعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف

- تعريف المؤلِّف "المنفلوطي"
- تعريف المؤلَّف وملخّص للرواية

المبحث الثاني: أنواع الإطناب وأساليبه في "الفضيلة"

المبحث الأول: التعريف بالمُؤلِف والمؤلَف.

1_ التعريف بالمؤلِّف:

أ_ مولده ونشأته: مصطفى لطفي المنفلوطي (1876- 1924)

ولد مصطفى بن محمد لطفي في منفلوط من صعيد مصر، فعرف لذلك بالمنفلوطي، وتلقى مبادئ دروسه الأولى في كتّاب قريته، ثم انتقل إلى القاهرة ودخل الأزهر حيث تلقّن علوم الدين واللغة مدّة عشر سنوات، ثم التحق بالشيخ محمد عبده، تلمذ له وأخذ عنه روح الانفتاح وانطلق إلى جانبه في عالم الأدب والاجتماع والحكمة، ثم عاد إلى منفلوط وراح يعالج المقالة الصحفية وينشرها في جريدة "المؤيد" فذاع صيته، وكان له في النفوس تأثير شديد حمله على العودة إلى التأليف والترجمة والصحافة.

شارك المنفلوطي في السياسة الوطنية، وكان من مناصري سعد زغلول ولقي من جرّاء ذلك ضيما، ولما رجع سعد من منفاه ولّاه أعمالا إنشائية في وزارة المعارف، ثم في وزارة الحقانيّة، ولمّا ترك منصبه عاد إلى الصحافة والكتابة موجها إلى مواطنيه رسالة الرحمة والتحرر، وفي أواخر حياته أسندت إليه وظيفة كتابية في مجلس النوّاب، لبث فيها إلى أن توفّي سنة 1924.[1]

ب_ أسلوبه و أدبه: كان المنفلوطي أديبا موهوبا، حظ الطبع في أدبه أكثر من حظ الصنعة، لأن الصنعة لا تخلق أدبا مبتكرا ولا أديبا ممتازا ولا طريقة مستقلة، وكان النثر الفني على عهده لونا

[1]- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي –الأدب الحديث–، دار الجيل، بيروت – لبنان –، ط1، 1986م، ص201.

حائلا من أدب القاضي الفاضل أو أثرا ماثلا لفن ابن خلدون، ولكنك لا تستطيع أن تقول أن أسلوبه كان مضروبا على[1]

أحد القالبين، إنّما كان أسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره، بديعا أنشأه الطبع القوي على غير مثال. عالج المنفلوطي الأقصوصة أول الناس وبلغ في إجادتها شأوا ما كان ينتظر ممّن نشأ كنشأته في جيل كجيله، وسر الذيوع في أدب المنفلوطي أنّه ظهر في فترة من الأدب اللباب، وفاجأ الناس بهذا القصص الرائع الذي يصف الألم ويمثّل العيوب في أسلوب ظلي وبيان عذب وسياق مطرد ولفظ مختار.[2]

والذي يطالع اجتماعيات المنفلوطي، يجد نفسه في نفق مظلم من الشذوذ الإنساني والظلم الاجتماعي، والبؤس الحياتي والغدر في التعامل، والخيانة في الحياة الزوجية، فكأن المجتمع البشري جحيم، وكأنّ الناس فيه ذئاب مفترسة، وكأنّ الشقاء نصيب من لا يقف الحظ إلى جانبهم، وكأنّ المنفلوطي لا يرى الوجود إلاّ من خلال السواد، ولا ينظر إلى الناس إلاّ من خلال الغيوم السوداء. وهكذا أسرف المنفلوطي في تشاؤمه، فأسرف في جمع الحوادث القاتمة وفي ترجمة القصص الكئيب والباكي. وهو إلى جانب ذلك ومن ورائه يهدف إلى تحبيب الفضيلة والصدّ عن الرذيلة، ويدعو إلى حياة الاستقامة وعمل البّر والإحسان، كما يدعو إلى التسامح ونبذ الأحقاد والابتعاد عن التعصّب و الفساد[3] .

ج_ مؤلفاته ومترجماته:

[1]– أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي – للمدارس الثانوية والعليا–، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة،– القاهرة– ، ص462.

[2]– أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 462.

[3]– حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص202.

للمنفلوطي عدّة آثار، منها الموضوع ومنها المترجم، أما الموضوع فكتاب "النظرات" في ثلاثة أجزاء، وهو مجموعة المقالات الأسبوعية التي كان ينشرها في المؤيد، ويعالج فيها موضوعات الاجتماع والسياسة، والأدب، ويصور فيها أحوال المجتمع المصري لذلك العهد وما بلغه من البؤس والشقاء وانحطاط الأخلاق .[1]

وأمّا المعرّب من آثاره فكتاب "العَبرات"، وهو ينطوي على قصص أكثره مترجم، وكتاب "الشاعر أو سيرانو دي برجراك" من تأليف أدمون روستان، وكتاب "في سبيل التاج" لفرنسوا كوبيه، وكتاب "الفضيلة أو بول وفرجيني" لبرنردين دي سان بيار، وكتاب "ماجدولين أو تحت ظلال الزيزفون" لألفونس كار[2].

هذه نبذة صغيرة وبسيطة حول هامة من هامات الأدب العربي، حيث حاول المنفلوطي من خلال كتاباته تشريح المجتمع وتسليط الضوء على ما يدور فيه من آفات تفتك به بغية اصلاحه وإعادة بناء منظومته الأخلاقية الفاضلة.

2_ التعريف بالمؤلَف، وملخص حول الرواية:

تعتبر رواية " الفضيلة " إحدى الروايات التي قام الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي بترجمتها، وكاتبها الأصلي هو الكاتب الفرنسي برناردين دي سان بيير، وقد كتبها تحت عنوان " بول وفرجيني "، قبل أن يعيد تسميتها المنفلوطي بالفضيلة.

ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية في جزيرة موريس، وهي كما صورها لنا الكاتب إحدى الجزر الإفريقية الواقعة في المحيط الهندي على مقربة من جزيرة قفراء، ليس بها إلا قليل من السكان السود، متفرقين في

[1]– حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، ص 201.

[2]– نفسه.

جبالها وغاباتها يستعبدهم بضعة أفراد من المهاجرين الأوروبيين النازلين بينهم، ويسخرونهم في حراثة الأرض، كما هو شأن المستعمرين الأوروبيين في جميع الأصقاع التي يعيشون فيها.

وأحداث الرواية يسردها لنا الكاتب على لسان شيخ يسكن هذه الجزيرة، وهو شيخ هرم قد بلغ السبعين من عمره، يعتمد على عصا في يده، ووجهه يتلألأ نورا.

يقول الراوي وهو هذا الشيخ، أنّه في عام 1726م قدم إلى هذه الجزيرة شاب من نورماندي اسمه " مسيو دي لاتور" ليطلب رزقه رفقة زوجته التي تدعى " هيلين "، وكان قد تزوجها سرا عن أهلها، وهاجر معها إلى هذه الجزيرة، فتركها فيها وسافر إلى جزيرة مدغشقر ليطلب رزقه فيها، فمات هناك، فأصبحت امرأته أرملة مسكينة لا سند لها، واتخذت لها قطعة من الأرض تستصلحها بيدها هي وجاريتها الزنجية علّها تجد قوتها ومرتزقها.

ولم تكن " مدام دي لاتور" وحدها في هذه الجزيرة، إنّما قد حضرت امرأة اخرى تدعى "مرغريت"، كانت ضحية رجل ثري كان قد وعدها بالزواج فخلف وعده ورحل عنها، وبعد أن اكتشفت أنّها تحمل جنينا في أحشائها، استحال بقاؤها بين أهلها فقررت الرحيل، فكانت هذه الجزيرة مأواها، اتخذت هذه الأخيرة زنجيا يعينها على أمرها، وضعت حملها في هذه الجزيرة ولدا اسمته "بول".

تعرفت السيدتان "هيلين" و"مرغريت " على بعضهما، وأعجبت الواحدة منهما بصفات وأخلاق الأخرى، وتطورت العلاقة بينهما إلى صداقة وأخوة، قامت السيدتان بمعية الزنجيين ببناء كوخين متجاورين، واحد لمرغريت والآخر لهيلين، وبعد ذلك جاء مولد طفلة هيلين التي سمتها " فرجيني ".

نشأ الطفلان نشأة الشقيقين، فكانا ينامان في مهد واحد، ويلعبان معا، ثم أخذت تلك العلاقة تكبر وتتحول مع الأيام إلى صداقة جدّية، يشعر كل منهما بحاجته للآخر، فبدآ يشتركان في خدمة المنزل ومعاونة أميهما في سبيل طلب العيش، وكانت حياتهما بسيطة ساذجة لأن ذهنيهما كانا

بسيطان ساذجان خاليان من مشاغل الحياة المركبة وهمومها، فلا يفكران في شأن غير شأنهما ولا ينتقلان بذهنيهما من الحاضر إلى الماضي أو المستقبل، كان بول مثال آدم، له قامة الرجل واعتدالها، وبساطة الطفل وسذاجته، وكانت فرجيني مثال حواء، لها جمال الأنوثة وحلاوتها ووداعة النفس وعذوبتها، وكانا يعيشان في معتزلهما هذا حرّين طليقين، لا تسيطر عليهما تلك القيود التي تسيطر على عقول الناشئين وضمائرهم، في تلك البلاد التي يسمونها بلاد الحرية والطلاقة، وكانا لا يعرفان تاريخا غير تاريخهما ولا يقرآن كتابا غير كتاب الطبيعة المفتوح أمامهما، ولا يفهمان فلسفة غير أن عمل الخير سعادة وعمل الشر شقاء.

مع الوقت تحولت مشاعر فرجيني إلى مشاعر حب حقيقي، لكنها لم تبح به لأحد، إلا أنّ والدتها لاحظت فيها تغيرها واضطرابها، فخافت على ابنتها من ذلك الشعور، وكانت لهيلين عمّة تسكن في فرنسا، وكانت قد رفضت مساعدتها يوما عندما لجأت إليها لمساعدة ابنتها الوحيدة، بعثت هذه العمّة كتابا لهيلين تقول فيه أنّها ندمت على فعلتها، وأنّها بحاجة إلى قلب رحيم يرأف بها، فاقترحت أن ترسل إليها ابنتها لتكون بجانبها في ساعتها الأخيرة ، على أن توصي لفرجيني بجميع ثروتها من بعدها، كان هذا الخبر بمثابة صاعقة هزّت نفوس ومشاعر كل من مرغريت وبول والزنجيين، لكن سرعان ما طمأنتهم بأنها لن تفارقهم.

لكن بعد ذلك يفاجأ الجميع بمجيء حاكم الجزيرة " المسيو لابور دينييه "، الذي يخبر هيلين بأنّ عمّتها قد أرسلت كتابا ثانيا تعاود طلب المساعدة بإرسال فرجيني إليها، وسيكون هو المتكفل بسفرها إليها، ويحاول إقناعها بأنّها فتاة ناشئة ذات نضرة وجمال، لا ينبغي دفنها في مثل تربة هذه الجزيرة، وأنّ الحياة السعيدة هناك تنتظرها، تمدّ ذراعيها لاستقبالها، وبعد سماع هيلين كلام الحاكم، تعرض الأمر على ابنتها، وتشرح لها صعوبة الوضع الذي تعيشه وبإمكانها تغيره إن هي أرادت

ذلك، فترفض فرجيني عرض السفر بحجة أنّها لا تستطيع ترك بول ومرغريت والزنجيين وكل ماله صلة بكوخها والجزيرة، وأنّ نفسها تحدثها بشر عظيم في هذا السفر، وبعد سماع هيلين لردّ ابنتها تركت لها حرية الاختيار في الذهاب أو البقاء، بعد ذلك يصل إلى الكوخ كاهن وهو رجل من أولئك الدّعاة الماكرين، الذين تستعين بهم الحكومات الاستعمارية على غزو القلوب الضعيفة، والذين يكونون في حاشية الحكام، فأحسنوا استقباله وتحيته، وظنّوا أنه إنّما جاء لزيارتهم كعادته، ليفاجئهم بقوله أنّ الله قد أمر هيلين بالبقاء في الجزيرة، ويأمر فرجيني بالسفر إلى فرنسا، وأنّهما إنّ لم يفعلا فقد خالفتا إرادة الله وباءتا بسخطه وغضبه، أما بول فقد كشفت له أمه حقيقة أمره التي كتمتها عنه زمانا طويلا، وأخبرته أنها فلاحة وضيعة لا حسب لها ولا نسب، وأنها حملته من أب سفاح، لذلك لا ينبغي أنّ يقيم علاقة مع فرجيني التي تنتمي إلى عائلة شريفة ونبيلة ومشهورة، ولها عمّة ثرية قد ذكرتها اليوم بعد أنّ أغفلتها سنين، فأرسلت إليها لتتمتع بثروتها، ثم تطلب منه السماح لأنّها كانت سببا في شقائه، ولكنه يهون عليها ويخفف عنها ويخبرها أنّه لا يحقد عليها.

يلتقي بول بفرجيني عند الصخرة التي تعودا الالتقاء عندها، ويطلب منها البقاء من أجل أمّها الوحيدة ومن أجله هو، لأنّه تعود على رؤيتها صباحا ومساء، ومقابل هذا لا يستطيع أنّ يطلب منها اصطحابه معها في السفر، لأنّها أجلّ من ذلك شأنا، لأنّها فتاة شريفة وهو فتى وضيع، ولذلك لا يرضى إلاّ أن يكون لها خادما من خدّامها، فيستطيع رؤيتها من بعيد ويتمكن من حمايتها من الأخطار، ولكن فرجيني تهدئ من روعه، وتعده بأنّها مهما طال بها الزمن فهي لا يمكن أن تكون إلا له، وأنّ سفرها هذا سيكون من أجله هو وليس لأمر آخر.

وفي غياب بول يتم ترحيل فرجيني، والذي كان بمثابة صاعقة قوية نزلت على بول، الذي لم تكف عيناه عن ذرف الدموع من أجل فراقه عنها، ولكن سرعان ما يهدأ ويتحلى بالقوة والشجاعة ليصير بعد ذلك إنسانا كاملا، مستنير الذهن، مستوي العقل، فياض الشعور والإحساس.

وفي أحد الأيام تقوم عمه هيلين بإرسال فرجيني في إحدى السفن، بعدما نقمت عليها نقمة عظمى، وأصبحت تحتقرها وتحرمها من ميراثها، لكن هذه السفينة التي تقل فرجيني تتعرض في طريقها إلى عاصفة تسبب الرعب في نفوس ركابها بما فيهم فرجيني، وبمرأى من بول والآخرين تغرق السفينة بعدما حاول أحد ركابها إنقاذ فرجيني، لكنه يفشل في النهاية وتموت فرجيني بعد غرقها مع السفينة، فيتأثر الجميع لموتها، سيما بول الذي يلزم فراش المرض عقب هذه الحادثة، وفي أحد الأيام يعثرون عليه ميتا عند قبر فرجيني، فيدفنونه معها في قبرها، وأمّا أمه مرغريت فتلحقه بعد ثلاثة أيام من وفاته، قضتها صابرة متجلدة، وأمّا هيلين فقد ماتت بعد شهر من ذلك التاريخ، وقد خلّد أهل الجزيرة ذكرهم في كثير من الأماكن التي عاشوا فيها.

المبحث الثاني: أنواع الإطناب وأساليبه في " الفضيلة ".

تحتوي " الفضيلة " على كم هائل من أساليب الإطناب على اختلاف أنواعه وأغراضه، تتنوع وتختلف باختلاف الحاجة إليها، فلكل مقام أسلوبه الذي يميزه عن بقية الأساليب الأخرى لأداء المعنى المقصود، وقد استعمل الكاتب تقريبا جل هذه الأنواع والأساليب الإطنابية على غرار: الإيضاح بعد الإبهام، التوشيع، التذييل، التكرار...، وغيرها من الأنواع التي سنتطرق إليها بالدراسة في هذا البحث بإذن الله، وأول نوع نبدأ به هو:

1- الإيضاح بعد الإبهام: وهو أحد الأساليب الإطنابية التي اعتمد عليها المنفلوطي في ترجمته لهذه الرواية، ومن مثال الإيضاح بعد الإبهام ما ذكره في بداية الصفحة السابعة عشرة، حيث وضع

عنوانا تحت اسم: " جزيرة موريس "، فالقارئ لهذا العنوان يبعث فيه عدة تساؤلات، فيقول القائل: أين تقع هذه الجزيرة؟ ويقول الآخر: ماهي طبيعتها وخصائصها؟ وغيرها من التساؤلات التي تخطر على بال القارئ، ثم جاء بعد ذلك بتعريف لهذه الجزيرة بقوله: « هي إحدى الجزر الإفريقية الواقعة في المحيط الهندي على مقربة من جزيرة "مدغشقر"... وهي جزيرة قفراء بلقع ليس بها إلا قليل من السكان السود متفرقين في جبالها وغاباتها...» [1]. ليفك هذا الإبهام ويزيل حيرة القارئ، وكذلك يتركه يركز فيما سيأتي، وفي الوقت نفسه ليصور لنا الكاتب الموقع الجغرافي الذي تدور فيه أحداث روايته، وليمهد لها من خلال التعريف بالمكان الذي تجري فيه الأحداث، حتى يصبح مكان الأحداث معروفا لدى القارئ.

ونجد هذا النوع أيضا في موضع آخر في قول الكاتب: « والسلام على عهدكما البائد الدارس»،[2] فهذه الجملة تجعل القارئ في حيرة من أمره وإبهام كبير، وتتركه يتساءل عن هذا العهد وما الشيء الذي يميّزه حتى خُصّ بالسلام من غيره من العهود، ثم عندما يتم قراءة جملة « عهد الصلاح والبر والفضيلة والشرف والحب والوفاء »،[3] يزول هذا الإبهام ويعرف سبب تخصيص هذا العهد بالسلام والتحية من دونه من العهود.

ومن الإيضاح بعد الإبهام أيضا قوله: « ضوء مصباح ضئيل يلقي أشعته الصفراء الخفّاقة على ما نيط بجدران الكوخ » [4]، فجملة « ما نيط بجدران الكوخ »، إبهام زال بإتمام الجملة بقول الكاتب:

---

[1]– مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، دار المعرفة، – بولوغين– الجزائر، ص 17.

[2]–[3]– نفسه، ص 81.

[4]– نفسه، ص 82.

« من معاول وفؤوس وقواطع ومناشير[1]»، وهذه الأدوات تم ذكرها في حقيقة الأمر بعد إيضاح الإبهام، للكشف عن طبيعة الحياة الفلاحية التي تعيشها هذه الأسرة.

ومنه أيضا قول المنفلوطي:« وأرحت نفسي إلى الأبد من رؤية تلك المناظر المؤلمة[2]»فالكلام هنا مبهم غير واضح، خاصة جملة « تلك المناظر المؤلمة »، فهذه الجملة تذهب بذهن القارئ إلى عدّة تخمينات واستنتاجات مختلفة عن طبيعة هذه المناظر، هل هي مناظر لحوادث مؤلمة، أم هي مناظر إجرامية مؤلمة، وغيرها من المناظر المؤلمة التي يمكن أن تخطر ببال القارئ، ولكن بعدما جاء الكاتب بجملة « مناظر المتهافتين ليلهم ونهارهم في تلك الحفائر الجوفاء التي حفرتها في طريقهم أيدي المطامع والشهوات »،[3] زال هذا الغموض وعرفنا أنّ هذه المناظر سببها المطامع والشهوات وليس شيئا آخر.

2- التوشيع:

ونلمس هذا النوع من الإطناب في " الفضيلة" في مواضع مختلفة، منها قول الكاتب:« وكانت مساحة الوادي نحو عشرين فدانا، فقسّمته قسمين: قسما أعلى وقسما أدنى »،[4] وهذا التوشيع جاء لتوضيح الطريقة التي تمّ بها تقسيم الأرض، التي كانت بين أعلى وأدنى.

وفي موضع آخر نجد التوشيع في قول الكاتب:« والحياة يومين: يوم بؤس ويوم نعيم »،[5] ففي هذا التوشيع كأنّما يريد الكاتب أن يقول لنا: أنّ تجارب الحياة وخبراتها وكل ما فيها ينقسم إلى نوعين

---

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة، ص82.

[2]-[3]- نفسه، ص154.

[4]- نفسه، ص 30.

[5]- نفسه، ص84.

وإلى حالتين: إما أن تذيقك من البؤس والحرمان، وإمّا أنّ تذيقك من النعيم، وهكذا دواليك يوم بيوم، يوم لك ويوم عليك، والحياة لا تستقر أبدا على حال واحدة.

ومنه أيضا قول المنفلوطي: « فالحياة كما تعلم ذات لونين: أبيض وأسود»،[1] والمقصود به هو أنّ الدنيا فيها الخير والحلاوة والفرح وهو ما يرمز إليه اللون الأبيض، كما فيها أيضا الأحزان والشر وهو ما يرمز إليه اللون الأسود، فالدنيا تارة تغمرك ببياضها، وتارة تغرقك في سوادها.

3- ذكر الخاص بعد العام:

من أنواع الإطناب ذكر الخاص بعد العام، ولقد وظّفه المنفلوطي في مواضع متفرقة ومختلفة، ومنه ما نجده في قوله: « ويرى الأرض المحيطة بها مختلفة الألوان ما بين سوداء وخضراء وصفراء، مختلفة السطوح ما بين أنجاد وأغوار وأحافير وأخاديد ومتعرجات ومستدقات»،[2] في هذا القول موضعان لذكر الخاص بعد العام، أولهما في قوله:« سوداء وخضراء وصفراء »، بعد قوله: «مختلفة الألوان »، وثانيهما في قوله: « ما بين أنجاد وأغوار وأحافير وأخاديد ومتعرجات ومستدقات»، بعد قوله: « مختلفة السطوح»، وهذا للتنبيه على طبيعة المحيط وطبيعة التضاريس المشكلة له، من خلال تصوير الموقع وإعطاء خصائصه بدقة، فقد خصّ الأرض بألوانها، فالأسود للجذوع الناخرة، أمّا الأخضر والأصفر فهما لونا الحشائش والنباتات المحيطة بالمكان، كذلك خصّ هذه الأرض بتضاريسها ليبيّن طبيعة هذه الأرض وتنوعها.

ومنه أيضا قوله:« فيدعوها بول إلى الرقص معه، فيرقصان معا على بساط الرّمل الأصفر، تلك الرقصة الزنجية التي لا هجر فيها ولا يشوبها عار ولا إثم» [3]، فالرقصة الزنجية داخلة في عموم

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة ص 131.

[2]- نفسه ، ص 17.

[3]- نفسه، ص87.

الرقص، لكن تمّ ذكرها لإنزال التميّز بينها وبين الرقصات الأخرى، وكذلك لتنزيهها وبيان تفردها وتخصيصها لِما لها من صفات حميدة، فهي بسيطة لا إثم ولا عار فيها، وكأنّما يريد الكاتب أن يقول: أنّ حتى رقصهم كان محترما ومهذبا، حاله حال أخلاقهم وسمو أنفسهم.

4- التكرار أو التكرير:

يعتبر التكرار أحد أنواع الإطناب، ولنا أن نتوقف في " الفضيلة " على بعض مواضعه ومنه ما نجده في قول الكاتب:« وأخذ يصيح بأعلى صوته، لا يدري من يحدّث ومن ينادي: الغوث، الغوث، النجدة، النجدة »[1]، وهذا للتنبيه ولفت الانتباه وطلب الاستغاثة والأمل في أن يكون هناك من مستمع لنداء النجدة هذا فيقدم له المعونة.

ومن التكرار أيضا ما نجده في قول الكاتب:« يخيّل إليّ يا بول أنّي أسمع صوت كلبنا " فيديل " لا بل هو بعينه وما ارتبت له قط، وما أتمت كلمتها حتى كان الكلب " فيديل " تحت أقدامهما...[2]» ، فقد كرّر الكاتب اسم الكلب " فيديل " للتنويه والإشادة به، والإشارة إليه بذكره، كون أنّ الفضل يعود إليه في العثور عليهما، لأنّه تتبع أثر رائحتهما من مكان إلى آخر، حتى وصل إلى المكان الذي وجدهما فيه.

ومن التكرار أيضا قول المنفلوطي: « كذلك نحن يا بول نشأنا في منشإ واحد، ورضعنا ثديا واحدا، ونمنا في مهد واحد، وابتردنا في حوض واحد، فأصبحنا شخصا واحدا » [3]، فقد كررت لفظة " واحد" أكثر من مرة، وهذا للتأكيد والاشتراك، فكأنّ بول وفرجيني شخص واحد، لا يفصل بينهما أي

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة، ص60.

[2]- نفسه، ص 61.

[3]- نفسه، ص 96.

شيء، وكأنّ المنشأ و الثدي والحوض والمهد شواهد على ذلك، وهذه الأمور هي التي جعلتهما يتآلفان ويتعاطفان ويصبحان شخصا واحدا.

5- الاعتراض:

الاعتراض من الأنواع الإطنابية التي يستعملها الأدباء في كتاباتهم من أجل التوسع في الجملة، والمنفلوطي نجده يستعمل هذا النوع بشكل واسع نوعا ما، ومن المواضع التي وظّف فيها الاعتراض نجد قوله: « ... وكان يذهب – فوق ذلك – إلى الغابات البعيدة والأحراش النائية لاحتطاب الحطب واجتلاب أعشاب الوقود ...» [1] فعبارة: « فوق ذلك »، شبه جملة اعتراضية جاءت لغرض التنبيه، والدلالة على قوة وجلدة هذا العبد، فرغم المشقة التي يتكبدها في خدمة الأرض وحرثها وغرسها، فإنه زيادة على ذلك يذهب إلى الغابات البعيدة لجلب الحطب رغم التعب الذي ينال منه، وهذا دليل واضح من الكاتب على مدى إخلاص هذا العبد وتفانيه في عمله.

ومن الاعتراض أيضا قول الكاتب: « فإذا فرغت من عملها، حملت ما فضل عن حاجة البيت من فاكهة وحبوب – ولم يكن بالشيء الكثير – إلى سوق المدينة فباعته فيه...» [2]، فجملة: « ولم يكن بالشيء الكثير» ، جملة اعتراضية جاءت للتأكيد على قلة الشيء، وبيان أنّ ما كان يفضل من غلة الجني ليس بالشيء الكثير، وهذا ما يزيد تأكيد الحياة البسيطة التي تعيشها هذه الأسرة الشريفة.

ومنه أيضا قول المنفلوطي: « إنّنا كابدنا أعظم ما يكابد امرؤ في العالم من عناء وشقاء في سبيل تربيتهما وتغذيتهما، فمن لهما – وهما ضعيفان ساذجان، وقد رحلنا عنهما إلى العالم الآخر الذي

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة، ص 34.

[2]- نفسه، ص 35.

ينتظرنا ورحل معنا دومينج وماري – بقوة تعينهما على أمرهما وأمر حياتهما العائلية المستقبلية »[1]، فجملة: « وهما ضعيفان ساذجان، وقد رحلنا عنهما إلى العالم الآخر الذي ينتظرنا ورحل معنا دومينج وماري » ، جمل اعتراضية غرضها الاستعطاف والتحسر، فقد أراد الكاتب أن يظهر لنا مدى تحسر هيلين على المستقبل الموحش الذي ينتظر ولديهما، وليس معهما من أحد يعينهما على الحياة ومشاقها، ويساعدها على خوض درب الحياة الطويل المضني.

ومن الاعتراض أيضا ما نجده قول الكاتب: « ولقد حدثتني نفسي اليوم أن أسافر إلى فرنسا، أسعى إلى مقابلة ملكها لأتولى خدمته، وأتوصّل من طريقه إلى جمع ثروة طائلة أستطيع أن أتقدم بها إلى جدّة فرجيني فلا ترى مانعا – وقد جمعت في يدي بين حاشيتي المجد والشرف – أن أتزوج من حفيدتها» [2]، فقد جاءت جملة: « وقد جمعت في يدي بين حاشيتي المجد والشرف »، جملة اعتراضية غرضها التمني والرجاء، فهذا الفتى البسيط يأمل في أن يصبح من ذوي المجد والشرف والمكانة العالية، وهذا أملا منه بأن يدرك غايته ويبلغ هدفه ومناه، ألا وهو تزوجه فرجيني وذلك من خلال طلب يدها من طرف جدتها التي هي من طبقة النبلاء، فأكيد أنّها لن ترضى بتزويج حفيدتها إلّا لمن هو من طبقتها ومقامها، وهذا ما سيحققه بول إن هو استطاع الوصول إلى الملك ومقابلته.

6- الاحتراس:

وهو نوع من أنواع الإطناب، يكثر استعماله في الشعر أكثر منه في النثر، لهذا قلّ استعماله في "الفضيلة"، إلا في مواضع قليله جدّا، ومن هذه المواضع التي نرى فيها احتراسا قول المنفلوطي: « وبين أعطاف تلك الدائرة الواسعة المخضرّة من الربى والهضاب، كان يعيش هؤلاء القوم في

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة ، ص 106.

[2]- نفسه، ص 159،160.

أكواخهم البسيطة عيشا سعيدا هانئا...» ،[1] فجاءت عبارة:« في أكواخهم البسيطة »، احتراسا ليبين أنهم قوم فقراء وبسطاء، من خلال ما تحمله هذه العبارة من رمزية لذلك، وحتى لا يتوهم العكس، لأنّه عادة ما ترتبط السعادة بالمال والجاه، والدور الكبيرة، فحتى لا يتوهم ذلك جاء الكاتب بهذه الجملة، ليدل على أنّ سعادتهم ليست ناجمة عن غناهم وسكنهم القصور، بل هم أناس بسطاء وفقراء، ورغم ذلك هم أسعد الخلق وأنعمهم بالحياة الهنيئة و السعيدة.

ومن الاحتراس ما نجده أيضا في قول الكاتب:« وكثيرا ما كانت تقرأ عليهم هيلين شيئا من قصص العهد القديم وبعض آيات من العهد الجديد، فيسمعها الآخرون ساكنين خاشعين تسيل نفوسهم أسى....» ،[2] فعبارة: « وبعض آيات من العهد الجديد »، جاءت احتراسا حتى لا يفهم أنّ هذه القصص التي ترويها هيلين مأخوذة من كتاب خاص بالقصص والحكايات، وإنّما هي مأخوذة من الكتاب المقدس – الإنجيل –، لأنّ كلمة " آيات " والتي مفردها آية، تدل على الجمل في الكتب المقدسة، سواء القرآن أو الإنجيل أو التوراة، وبذلك يكون الكاتب قد احترس من أي سوء فهم قد يقع فيه القارئ، خاصة الجاهل بأسماء الإنجيل، على غرار العهد القديم أو العهد الجديد، فيحسبه اسم لأحد كتب القصص.

7- التذييل:

من أنواع الإطناب نجد كذلك التذييل، وكما سردنا من قبل في الفصل الأول فإنه ينقسم إلى قسمين: تذييل جار مجرى المثل، وتذييل لا يجري مجرى المثل، ولقد احتوت الفضيلة على كلا النوعين، وأول نوع نبدأ به هو:

1- التذييل الذي يجري مجرى المثل:

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة، ص 73.

[2]- نفسه، ص 83.

ومنه قول المنفلوطي:« وليس في تلك المدرّة جميعها على كثرة صخورها وأحجارها وإخلاف صورها وأشكالها حجر من أحجار الإقتداح، فتفتّقت الحاجة لبول حيلة من أغرب الحيل وأبدعها، وقديما فتّقت الحاجات حيل الرجال... »[1]، فجاءت جملة:« فتقت الحاجات حيل الرجال»، تذييلا جار مجرى المثل لتأكيد المعنى وتقويته، بأن الحاجات غالبا ما تكون سببا في ابتكار أشياء ومخترعات جديدة، كما تؤدي أيضا إلى استحداث حيل غريبة وبديعة، وفي الوقت نفسه تكون سببا في تحقيق الغاية المنشودة والوصول إلى ابتكارات جديدة، وهذا التذييل يكاد يطابق المثل الذي يقول: " الحاجة أم الاختراع ".

ومنه أيضا قول الكاتب:« ولا تتناول شيئا من شؤون الناس خاصّها أو عامها، والغيبة رسول الشر بين البشر»[2]، فجملة:« الغيبة رسول الشر بين البشر»، تذييل جار مجرى المثل، فهي تؤكد الجملة التي قبلها، ولا تعتمد عليها في فهمها وإدراك معناها، فهذه الأسرة البسيطة لا تخوض فيما لا يعنيها من أمور الناس، ولا تتكلم عن غيرها ولا تغتاب أي أحد مهما كان، وهذا دليل على رفعة أخلاقها ومكارمها.

ومنه أيضا ما نجده في قول المنفلوطي:« لأنّ أخبار السوء لا يمكن أنّ تمر دون أن تترك أثرها على النفس، وبدأ يصدق ما يسمعه، لا لأنه يعتقد صدق القائلين بل لأنّه وقع في الخطأ الذي يقع فيه الناس دائما، وهو اعتقاد أنّ الدخان لا يمكن أن ينبعث من غير نار» [3]، فجاءت جملة: « الدخان لا يمكن أن ينبعث من غير نار »، تذييلا جار مجرى المثل، حيث تؤكد الجملة التي قبلها وما تحمله من معنى، وهو كون أنّ ما يسمعه ويتناوله الناس وما يتداولونه من كلام، لو لم يكن

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة، ص 56.

[2]- نفسه ، ص 68.

[3]- نفسه ، ص 147.

فيه شيء من الصحة لما أثاروا عليه هذه الضجة، فجاء الكاتب بجملة التذييل للدلالة على هذا المعنى الذي هو خاطئ في الحقيقة، لأنّ الغيرة والحسد والحقد والغلّ تجعل الناس يقولون أشياء لا أساس لها من الصحة، ولا مكان لها في الوجود، ولكن ألسنة الناس تصنعها وتجعل منها حقيقة.

2- التذييل الذي لا يجري مجرى المثل:

ونجد هذا النوع في قول المنفلوطي:« إلاّ أنّه كان فتيّ الهمة والعزيمة، واسع الخبرة في شؤون الزراعة الجليلة وأساليبها، فكان يغرس في كل أرض ما يناسبها من البذور والأغراس... »[1]، فجاءت جملة:« فكان يغرس في كل أرض ما يناسبها من البذور والأغراس »، تذييلا لا يجري مجرى المثل، فقد جاءت هذه الجملة مرتبطة بالجملة التي قبلها، وتأكيدا لها في المعنى، فجملة: « واسع الخبرة في شؤون الزراعة الجليلة وأساليبها »، هي نفسها من حيث المعنى مع جملة التذييل، وهذا كله للإشارة إلى الإدراك الكبير للعبد دومينج بأمور الفلاحة والزراعة، وتجربته الكبيرة التي تجعله يدرك خبايا هذه المهنة.

ومن نوع هذا التذييل أيضا ما نجده في قول المنفلوطي:« فهو رجل قاسٍ غليظ لا يزال يجلدني ويمزق لحمي بسوطه كلما بدا له أن يفعل ذلك، ثمّ كشفت ثوبها عن جسمها وأشارت إلى مواضع الضرب منه...» [2]، فجاءت جملة: « ثمّ كشفت ثوبها عن جسمها وأشارت إلى مواضع الضرب منه »، تذييلا لا يجري مجرى المثل تأكيدا لكلام الأَمة الأول ومتصلا به، ومطابقة الشيء المعنوي وهو كلامها عن ضربها، بالشيء الماديّ الملموس وهو أثر ذلك الضرب على جسمها.

8- الإيغال:

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة ، ص 33.

[2]- نفسه، ص 52.

تم ذكر الإيغال واستعماله في مواضع قليلة محدودة، ومن هذه المواضع نجد قول المنفلوطي: « حتى وصلت إلى هذا المكان الذي نحن فيه، فأعجبها منظره الهادئ المنفرد » [1]، فجاءت كلمة " المنفرد " إيغالا لأن المعنى تم مفهومه في قول الكاتب: « فأعجبها منظره الهادئ »، فزاد كلمة " المنفرد "، للتخصيص وتوضيح سبب اختيار هذا المكان من طرف السيّدة " مدام دي لاتور" أو هيلين.

ومنه أيضا ما نجده في قول المنفلوطي: « وتلك العصّابة الزرقاء التي تدور بجبينها الأبيض المشرف....» [2]، فكلمة " المشرف" إيغال، لأنّ المعنى تمّ بقوله: « بجبينها الأبيض » ولكنه زاد عليه بكلمة " المشرف".

9- الصفة:

الصفة من الأنواع الإطنابية المستعملة بكثرة في " الفضيلة "، لأنّ أغلب القصص والروايات مبنية على الوصف، ومن أنواع الصفة التي نجدها في " الفضيلة " نذكر:

أ- التخصيص في النكرة:

ومنه قول الكاتب:« وله شعر أبيض مستطيل مسترسل على كتفيه » [3]، فهذه الصفات هي التي حدّدت لنا طبيعة هذا الشعر الذي يدل على صاحبه، وهي التي جعلتنا وتركتنا نميّزه عن غيره، فقد يمكن أن يكون هناك شيخ ثان ذو شعر أبيض، ولكن أن يضاف له صفة الاستيطال والاسترسال فهو من باب التخصيص.

ب- المدح والثناء:

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة، ص 25.
[2]- نفسه، ص 121.
[3]- نفسه ، ص 20.

ونجد منه في قول الكاتب: « لأنّها لم يكن يعينها بعد أن فقدت ذلك الزوج الكريم..[1]» ، فقوله: « الكريم » صفة من باب المدح لهذا الزوج، وبيان شرف خلقه وكرم عشرته.

ومن المدح أيضا قوله: « فهي فتاة شريفة نبيلة من أسرة كريمة مشهورة » [2]، فالكاتب يمتدح فرجيني على لسان مرغريت، ويبن شرف أخلاقها وكرم نسبها.

ت-الذمّ:

من الذمّ ما نجده في قول الكاتب: « وفد إلى الكوخ كاهن الجزيرة، وهو رجل من أولئك الدعاة الماكرين» [3]، فصفة المكر ذمّ لهذا الكاهن الذي تستعين به حكومته لتحقيق مصالحها وأهدافها.

ومنه أيضا قوله: « أمّ اليوم فالملوك متكبرون متغطرسون... » [4]، فهو ذمّ لحال وصفات ملوك اليوم، الذين غرتهم الحياة بما ملكوا، فتجبروا وتكبروا حتى ضاعت أخلاقهم وفسدت.

ث-التوضيح في المعرفة:

ونجد ذلك في قول الكاتب: « ثمّ أخذ يرسل أشعته الباهتة الخضراء... » [5]، فالكاتب بهذه الصفات زاد بيان لون هذه الأشعة ومدى قوتها ووضوحها.

ومنه أيضا: « ما أحسب إلا أنّ حادثة الجارية الآبقة كانت هي السبب في ذلك... » [6]، فجاءت صفة " الآبقة " للتخصيص وبيان من هي الجارية.

---

[1]- مصطفى المنفلوطي، الفضيلة ، ص 24.

[2]- نفسه، ص 120.

[3]- نفسه، ص 118.

[4]- نفسه، ص 161.

[5]- نفسه، ص 121.

[6]- نفسه، ص 94.

هذه أهم أنواع وأساليب الإطناب بمختلف أغراضها، التي تمكنا من الكشف عنها واستخراجها، محاولين تحقيق الصواب قدر الإمكان، كما يبقى هذا العمل جهد خاص، يقبل الخطأ كما يمكن أن يقبل الصواب.

خاتمة:

الحمد لله أولا وآخرا، على أن يسّر وأعان على إتمام هذا البحث، فلولا توفيق الله لما وسعنا أن ننجز شيئا.

أما بعد: فإنّ الإطناب ما هو في النهاية إلاّ وسيلة من الوسائل البلاغية، التي يُعتمد عليها في الكتابات التي يكون القصد من ورائها الإقناع والإفهام، فهو يعطي أكبر عدد ممكن من العبارات والجمل من أجل إقناع المتلقي واستمالته لقبول مضمون الخطاب، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثنا هذا أذكر:

_ أنّ الإطناب ماهو في النهاية، إلاّ أداة من الأدوات البلاغية التي يعتمد عليها الأدباء في كتاباتهم، فتوسع به الجمل لتوسيع المعاني.

_ للإطناب قيمة ثقافية كبيرة لا يمكن تجاهلها، فهو يكشف على مدى تمكن الأديب أو المتكلم من أداء المقصود من الكلام، بأبلغ العبارات والجمل، ممّا يحدد نوعية الأديب.

_ كذلك للإطناب قيمة بلاغية وجمالية في نفس الوقت، فالبدع يعمد إليه رغبة منه في إعطاء نصه قيمة جمالية عالية تخدم الجمل والعبارات، بالإضافة إلى القيمة الدلالية التي يستفاد منها بفضله.

_ تنوع وتعدد أنواع وأساليب الإطناب، ممّا يعطي للكاتب مساحة أكبر في اختيار النوع الذي يتماشى مع مقتضى الحال، فينتقي الأديب النوع الذي يوافق مقام كلامه ويخدم معانيه.

_ يعتبر " المنفلوطي " من الكتاب الذين يعتمدون على أسلوب الإطناب في كتاباتهم.

_ في رواية " الفضيلة " تعددت أنواع الإطناب المستعملة، من توشيع، تذييل وصفة، وغيرها من الأنواع الأخرى التي استعملها ووظّفها المنفلوطي.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية حفص

المصادر:

_ مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، دار المعرفة، – بولوغين– الجزائر.

المراجع:

_ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر– بيروت– ، ط:1، 1955–1992م،ج:1.

_ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع –القاهرة– 2009م، ج1.

_ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين –الكتابة والشعر– ، مطبعة محمود بك–الإستانة العليه–، ط:1 1319هـ.

_ أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية–بيروت– لبنان، ط:1 2000م، ص388.

_ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي – للمدارس الثانوية والعليا–، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفاجلة،– القاهرة– .

_ الخطيب القزويني– جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمان القزويني–، الإيضاح في علوم البلاغة،المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية – بيروت– لبنان.

_ السيّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية –صيدا– بيروت، ط:1.

_ بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق : حنى عبد الجليل يؤسف، مكتبة الآداب، ط: 1، 1989م.

_ جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون – دمشق– سوريا، ط:2008،1م.

_ حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي –الأدب الحديث–، دار الجيل، بيروت – لبنان – ، ط1، 1986.

_ ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق:أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر–الفجالة–القاهرة، ج:2، ص 343.

_ عبد الرحمان حسن حبنّك الميداني، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها وفنونها، دار القلم – دمشق– ،الدار الشامية–بيروت–، ط:1، 1996م،ج 2، ص 60.

_ عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية– علم المعاني– ، مكتبة الآداب –القاهرة– ، ط:3،– 2002–.

_ عبده عبد العزيز قلقيلة ،البلاغة الاصطلاحية ، دار الفكر العربي –القاهرة–، ط:3، 1992م.

_ علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة –البيان–المعاني–البديع–، دار المعارف 1999م.

_ عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية –المعاني–البيان– البديع، منشورات الجامعة المفتوحة 1993م.

_ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها –علم المعاني–، دار الفرقان للنشر والتوزيع –إربد–، ط: 4، 1997م.

_ يحي بن حمزة بن علي ابن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية –صيدا– بيروت، ط:1، 2002،ج 2، ص 123 .

فهرس المحتويات

. مقدمة.....2

1: الفصل الأول: الإطناب تعريفه، مكانته عند العرب، أنواعه وأساليبه

1.1: تعريف الإطناب لغة واصطلاحا.....5

2.1: مكانة الإطناب عند العرب.....8

3.1: أنواع الإطناب وأساليبه 10

2: الفصل الثاني: الإطناب في الفضيلة لمصطفى لطفي المنفلوطي

1.2: تعريف المؤلِف " المنفلوطي " 24

2.2: تعريف المؤلَف، ملخص لرواية "الفضيلة ".....27

3.2: أنواع الإطناب وأساليبه في الفضيلة.....31

أ_ الإيضاح بعد الإبهام.....31

ب_ التوشيع.....33

ج_ ذكر الخاص بعد العام.....34

د_ التكرار أو التكرير.....35

هـ_ الاعتراض.....36

و_ الاحتراس.....38

ز_ التذييل.....39

ح_ الإيغال.....42

ط_ الصفة.....43

خاتمة.....**46**

قائمة المصادر و المراجع..... 48

الفهرس **52**